الكتاب الخامس

القرآن وقضايا الإنسان

للدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)

تحليل وعرض أ.د. السيد أحمد فرج

التعريف بمؤلفة الكتاب:

هي الدكتورة عائشة بنت الشيخ محمد على عبد الرحمن، وكنيتها أم الخير، واشتهرت ببنت الشاطئ، ولدت بمدينة دمياط في السادس من نوفمبر سنة ١٩١٣ حيث كان والدها يعمل مدرسًا للحساب والخط العربي بمعهد دمياط الابتدائي الأزهري، وكان متصوفًا على الطريقة الشبراوية التي عرفها في بلدته الأصلية شبرا بخوم مركز قويسنا محافظة المنوفية، وهى طريقة تجمع بين ذكر القلب واللسان وحركات الجوارح.

حفظت القرآن الكريم في سن مبكرة على والدها، الذي كان يريد لها أن تحفظ القرآن، وتعرف مبادئ بعض العلوم الإسلامية التي تجعل منها زوجة فاضلة، ولكن طموحها لم يتوقف عند حدود رغبة والدها، وأخبرت أمها بأنها تريد أن تنال تعليمًا منتظمًا، وأرادت أمها أن تحقق لها رغبتها، فوسطت والدها الشيخ إبراهيم الدمهوجي لكي يقنع صهره بإلحاق ابنته عائشة بالمدارس الأميرية، وبعد إلحاح من جدها وافق والدها على أن تلتحق ابنته بمدرسة المعلمات بدمياط، وحصلت منها على شهادتها في سنة ١٩٢٩م، ولكن طموح عائشة لم يتوقف عند نيل هذه الشهادة، وأباحت بسرها لأمها، فساعدتها على الحصول على الشهادة التوجيهية (الثانوية العامة) من المنازل دون علم والدها في سنة ١٩٣١ من مدرسة اللوزي الثانوية للبنات بدمياط. ثم وُفِّقت في الحصول على وظيفة صغيرة بكلية البنات، فضمنت

وجودًا لها بالقاهرة، كما «ضمنت الرزق الكريم، وتحمل أعباء نفسها بنفسها، لأن والدها كان يعارض ذهابها إلى القاهرة، معارضة شديدة خيفة عليها من الفتنة في ظنه» . وفى القاهرة أتيح لها أن تنتسب إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب، وفى أثناء دراستها بالجامعة توثقت صلتها بأستاذها الشيخ أمين الخولي الذي انبهر بذكائها فتزوجها. وكانت في سن أبنائه من زوجته السابقة، فكان لها أستاذًا موجهًا وزوجًا، ولكن عاقبة تمردها على والدها، وسفرها إلى القاهرة، وزواجها بدون إذن منه كان سبب نفرة من الوالد وقطيعة استمرت سنين طويلة.

وفى القاهرة حصلت الدكتورة عائشة على ليسانس في اللغة العربية في سنة١٩٣٦ وعلى درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها في سنة ١٩٤١، وعلى الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها في سنة ١٩٥٠م.

نشاطها في الكتابة: بدأت عائشة عبد الرحمن تكتب مقالاتها وتنشرها في سن الثامنة عشرة، وهى لا تزال بدمياط، فكانت تكتب لمجلة النهضة النسائية، وكانت مقالاتها في ذلك الوقت تمثل التوجه الديني المحافظ. وكانت توقع مقالاتها بتوقيع يخفى اسمها هو: بنت الشاطئ، حتى لا يعرف والدها أنها تكتب للصحف.

وفى سن العشرين فازت بجائزة أدبية، فأهلها هذا الفوز للكتابة بصحيفة الأهرام، فكانت ثاني كاتبة عربية تنشر صحيفة الأهرام مقالاتها بعد مي زيادة. ولقد ظلت مرتبطة بصحيفة الأهرام طول حياتها، وكان آخر مقال تنشر لها بالأهرام بعنوان: على بن أبى طالب في ٢٦ نوفمبر ١٩٩٨م قبل موتها بأيام قليلة.

وبعد قيام حركة يوليو سنة ١٩٥٢ حدثت تحولات في الفكر السياسي والاجتماعي للدكتورة عائشة، فقد رغبت في أن يكون لها ظهور سياسي وشاركت بجهد نالت عنه جائزة الحكومة المصرية في الدراسات الاجتماعية والريف المصري في سنة ١٩٥٦م، ثم زاد طموحها السياسي في أوائل الستينيات، بعد إعلان التحول

الاشتراكي رسميًا في مصر الذي بدأ في سنة ١٩٦١ م، وفى سنة ١٩٦٢م وجهت لها القيادة السياسية المصرية دعوة لحضور مؤتمر مناقشة الميثاق الوطني، وفيه أظهرت توجهًا تقدميًا للمرأة يضاد مواقفها القديمة. وزعمت بعض الشائعات أنها ستكون أول امرأة تستوزر بمصر، ولكن الدكتورة حكمت أبو زيد فازت بالمنصب دونها. وفى هذه الفترة نفسها سعت الدكتورة عائشة لتكون أول امرأة مصرية تحصل على عضوية مجمع اللغة العربية، ولكن مساعيها في عدة دورات متتالية في سنوات متتالية باءت بالفشل.

ومنذ نهاية الستينيات وبداية السبعينيات حدث التحول الكبير في توجهات الدكتورة عائشة عبد الرحمن في مجال الدراسات الإسلامية خاصة الدراسات القرآنية وظلت على ذلك حتى رحلت عن الدنيا في آخر نوفمبر سنة ١٩٩٨.

المناصب التي شغلتها الدكتورة عائشة:

١- أستاذ بقسم اللغة العربية بكلية البنات جامعة عين شمس - وهو عملها الأصلي.

٢- عضو المجالس القومية المتخصصة.

٣- عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر.

٤- عضو المجلس الأعلى للثقافة.

٥- أستاذ زائر بجامعات أم درمان والخرطوم في سنة ١٩٦٧، والجزائر سنة ١٩٦٨م، وبيروت والإمارات سنة ١٩٨١، وكلية التربية للبنات بالرياض في سنوات متفرقة ما بين سنة ١٩٧٥، ١٩٨٣.

وكانت أكبر مدة ندبت إليها: أستاذ التفسير والدراسات القرآنية بكلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب.

معاركها الفكرية والاجتماعية:

تمثلت معركتها الأولى في رفضها القرار في البيت، وحرمانها من التعليم، ثم في عدم اكتفائها بشهادة مدرسة المعلمات، ثم في سفرها بمفردها إلى القاهرة، والبحث عن وظيفة بها لتضمن كفالة نفسها المعيشية وولوج معترك الحياة حتى حصولها على الدكتوراه وعملها أستاذًا بالجامعة.

أما أهم معاركها فقد كانت دفاعًا عن الإسلام والتصدي لأصحاب التيارات التي رأتها مضادة للإسلام في جبهتين:

الأولى: ما عرفت بمواجهة التفسير العصري للقرآن في سنة ١٩٧٠ الذي تولى كبره مصطفى محمود، ورأت فيه الدكتورة عائشة تحريفًا لنص القرآن الثابت، وتبديلًا لكلماته ببدع مدسوسة. (د. عائشة: مقدمة القرآن والتفسير العصري، دار المعارف، اقرأ ٣٣٥، الطبعة الثانية)، والقسم الثاني من كتاب: القرآن وقضايا الإنسان، والقسم الأخير من كتاب: قراءة في وثائق البهائية) وكون هذا الموضوع قد تضمنته هذه الكتب الثلاثة للدكتورة عائشة، فإنه يؤكد أهمية هذا الموضوع لديها وتمكنه من تفكيرها. وكانت قد تصدت لبدعة سبقتها في سنة ١٩٦٩م قصدت هدم اللغة العربية، وكان سلامة موسى قد تولى كبرها، تصدت له الدكتورة عائشة في كتابها: لغتنا والحياة، الذي صدر عن دار المعارف في طبعته الأولى سنة ١٩٦٩، وفيه تصدت الدكتورة عائشة عبد الرحمن لهؤلاء الذين حملوا على القرآن ولغته، وعلى الإسلام والمسلمين، فوأدت الفتنة في مهدها.

الثانية: كانت معركتها الثانية في تصديها لفتنة البابية البهائية بكتابها المهم في بابه: قراءة في وثائق البهائية (الطبعة الأولى، مؤسسة الأهرام، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) بينت فيه أن البابية البهائية فرقة ضالة صنعها الاستعمار الروسي ثم الإنجليزي والأمريكي والصهيوني على عينيه لشغل العرب والمسلمين عن قضاياهم المهمة

خاصة قضية فلسطين.

نتاج الدكتورة عائشة عبد الرحمن الفكري والأدبي واللغوي:

يسير نتاج الدكتورة عائشة عبد الرحمن في اتجاهين أساسيين:

الأول: النتاج الأدبي واللغوي.

الثاني: الدراسات الإسلامية – خاصة القرآنية.

يضاف إليه ما قامت به من تحقيق وتوثيق لكتب التراث العربي.

أولا: النتاج الأدبي واللغوي

١ – سر الشاطئ: مجموعة من أقاصيص وخواطر، كتبتها في شبابها الأول، وفيها صور لحياتها على شاطئ النيل بدمياط، وكانت توقع بـ: بنت الشاطئ حتى لا يعرف والدها أنها تمارس الكتابة.

٢ – على الجسر.

٣ – الريف المصري.

٤ – قيم جديدة للأدب العربي.

٥ – تراثنا بين ماض وحاضر.

٦ – أرض المعجزات – رحلة في بلاد العرب.

٧ – سيد الغربة (رواية مصرية).

٨ – رجعة فرعون (رواية مصرية).

٩ – الحياة الإنسانية عند أبى العلاء.

١٠ – السيرة الذاتية، ذكرت فيها طرفًا من سيرتها الذاتية، خاصة في طفولتها ومراهقتها بدمياط، ونشأتها على شاطئ نيل دمياط، وفيها طرف من ذكر حياتها مع زوجها الشيخ أمين الخولي.

obeikan.com

١١- ولكن أهم نتاجها الأدبي ما كتبته عن نساء الدوحة الشريفة: أمهات المؤمنين، ونساء بنى هاشم - أم النبي، ونساء النبي، وبنات النبي، والسيدة زينب عقيلة بنى هاشم، والسيدة سكينة بنت الحسين.

وقد نشرت هذه الأعمال مسلسلة في سلسلة «كتاب الهلال» قبل أن تجمع في موسوعة نساء آل البيت التي تجاوز عدد صفحاتها الألف صفحة، ترجمت للغات العالم الإسلامي غير الناطق بالعربية. مثل التركية والفارسية والأردية والإندونيسية لكي تتيسر قراءتها بكل لغات المسلمين في كل أنحاء الدنيا.

١٢- رابعة العدوية.

١٣- الخنساء شاعرة العرب الأولى.

١٤- الدراسات التي كتبتها حول المعرى وغفرانه، وهى:

- رسالة الغفران: تحقيق وتوثيق.
- الغفران: دراسة نقدية حول رسالة الغفران، وكانت أصولها محاضرات ألقيت على طلاب الجامعة قبل أن تطبع في كتاب.
- جديد في رسالة الغفران.

١٥- لغتنا والحياة.

١٦- رسالة الصاهل والشاحج لأبى العلاء المعرى تحقيق وتوثيق في ٨٠٨ صفحة، وهى حكايات أشبه بحكايات كليلة ودمنة، غير أن فيها مجال رحب للبحوث اللغوية، والدراسات اللغوية المقارنة، وما يجد فيها الخاصة من علماء اللغة العربية من سخى الأمالي اللغوية والنوادر الأدبية، والنكت العروضية.

ثانيا: الدراسات الإسلامية والقرآنية:

١٧- التفسير البياني للقرآن في جزأين.

obeikan.com

١٨- الإعجاز البياني للقرآن، ومسائل ابن الأزرق.

١٩- مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح لسراج الدين بن عمر البلقيني. تحقيق وتوثيق في ١٠٥٣ صفحة.

٢٠- قراءة في وثائق البهائية.

٢١- القرآن والتفسير العصري - هذا بلاغ للناس.

٢٢- القرآن وقضايا الإنسان.

الجوائز التي حصلت عليها:

١- جائزة الحكومة المصرية في الدراسات الاجتماعية والريف المصري سنة١٩٥٦م.

٢- جائزة الدولة التقديرية في الأدب سنة ١٩٧٨م.

٣- جائزة الأدب من الكويت سنة ١٩٨٨.

٤- جائزة الملك فيصل للأدب العربي مناصفة مع الدكتورة وداد القاضي سنة١٩٩٤م.

٥- وسام الكفاءة الفكرية من المملكة المغربية.

٦ - **كتاب: القرآن وقضايا الإنسان** صدر عن دار العلم للملايين - الطبعة الخامسة، بيروت في أكتوبر ١٩٨٢، وطبع للمرة الأولى في المحرم ١٣٨٩ - ١٩٦٩م، والكتاب في قسمين:

القسم الأول: القرآن وقضايا الإنسان.

القسم الثاني: القرآن والتفسير العصري - هذا بلاغ للناس.

وكتبت القسم الأول في سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩م، والقسم الثاني في ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م ثم ضمهما كتاب واحد من قسمين.

obeikan.com

قالت الدكتورة عائشة في مقدمة الكتاب إنها كانت تنوى أن تعنون الكتاب بـ «القرآن وقضايا العصر» ولكن حال دونه صراع المذهبية المعاصرة بين يمين ليبرالي - ويسار ماركسي، وهما مذهبان يسيطران على مفكري العصر من الحداثيين، ولكنها ترفضهما معًا، كما ترفض الفرضية الصهيونية، وكل ما أفرزته المذهبية المعاصرة ويستبطن شرًا للإسلام.

تبدأ الكتاب ببيان من هو إنسان القرآن، واقتضى ذلك أن تبين الفرق بين مدلولات ألفاظ: بَشر - وإنس - والناس - وإنسان، فبينت أن:

١ - البشرية: اسم جنس دال على الآدمية المادية التي تأكل الطعام وتمشى في الأسواق، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠]، فالبشرية ههنا لكل بنى آدم.

٢ - والإنسان في القرآن غير الناس، فلفظ الناس اسم جنس دال على السلالة الآدمية. قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: ١٣].

٣- ولفظ الإنس: يأتي مع لفظ الجن للتقابل، والإنسية هنا تنفى عن الإنسان التخفي.

ومع أن الإنسانية مشتقة من الإنس إلا أن فيها دليل ارتقاء الإنسان وأهليته للخلافة في الأرض، وتحمل تبعات التكليف، واختصاص الإنسان بالعقل والبيان والتمييز، مع التعرض للابتلاء بالخير والشر، وقد قبست الدكتورة عائشة دلالات هذه الألفاظ من أعمال المفسرين خاصة الطبري والراغب الأصفهاني والزمخشري والمنار .

١ـ ولقد قسمت الدكتورة عائشة القسم الأول إلى مباحث على الوجه التالي:

الأول: قصة الإنسان من المبتدأ إلى المنتهى: بينت فيه جدارة الإنسان بتكليف الله له بالخلافة في الأرض. وفصَّلت الكلام في خلق الإنسان من تراب (آدم) ومنه كان بنوه، ويكونون إلى يوم الدين، ومع أن آدم كان مسبوقًا بمخلوقات أخرى إلا أنه كان موعودًا بالخلافة في الأرض، وعلى هذا التفضيل فقد حمّله الخالق عز شأنه مسئولية التكليف في مجالات: الخير والشر، وجعل له الثواب والعقاب كسبيًا بحسب عمله وتفكيره ومسئولية الاختيار. وهذا دليل على أن إنسانية الإنسان ليست ملائكية ولا شيطانية، إنما هي إرادة ووعى وتمييز واختيار، ليكون خيره له، وشره عليه باختياره بإرادة كاملة.

٢- وبينت في هذا المبحث معنى السجود لآدم، وأنه كان على وجه الإيثار بالخلافة في الأرض بالعلم الذي حُجب لأمر تشريعي عن الملائكة، «ليصبح معنى الخلافة عامًا في كل ما ميز الله به الإنسان على سائر المخلوقات» (تفسير المنار ١/ ٢٥٢).

٣- وميز الله تعالى الإنسان بأن علَّمه البيان (خلق الإنسان علمه البيان)، وبتحمل الأمانة، وهى جميع الأمانات في الدين، وفى أمانات الناس، وحمل الأمانة هذا ابتلاء للإنسان بما تقتضيه الخلافة من حق التصرف، وأهلية المسئولية» .

٤- وبينت كذلك ما المقصود بحرية الإنسان، سواء كانت الحرية العامة المناقضة للرق، فرأت أنها حرية لا يكون وجودها الحر تامًا بغير تحرير العقيدة والعقل والإرادة.

٥- وحرية العقيدة كما بينتها الدكتورة عائشة تلزم المسلم بالإقرار بنبوة كل الرسل والأنبياء السابقين دينًا وعقيدة، وبالإيمان بأن الإسلام جاء مصدقًا لما بين يديه من رسالات رسل الله السابقة، وكذا بأن الإسلام يبطل الكهنوت والوساطة

بين الخلق والخالق، وأنه خاتم الرسالات.

٦- حرية العقل والرأي: هذا المبحث هو أطول مباحث القسم الأول قررت فيه الدكتورة عائشة أن حرية العقل والإرادة ليست إلا عنصرًا أساسيًا من كل لا يتجزأ هو: الحرية الكاملة للإنسان بمقتضى حمل أمانة التكليف بالخلافة في الأرض وعمارتها، ولكي تؤكد هذا المعنى تقول الدكتورة عائشة: «إذا كان شرط التكليف الاختيار بنص عبارة ابن رشد، فكيف نتصور أن يحتمل الإنسان الرشيد تبعة التكاليف إذا فقد حق الاختيار الذي هو شرطه، ولكن يتحدد مفهوم الإرادة حين تنتقل النية إلى عمل، ويستقر العزم في تصميم (ص ١٣٢)، وهذا الفهم لا يضاد كون مفهوم إرادة الله في خلقه «حين تكون من الله تعالى حكمًا وقضاءً، ومفهوم الإرادة حين تكون من المخلوقين رغبة واختيارًا وقصدًا وعزمًا»

مصير الإنسان:

وتقسم الدكتورة عائشة الفصل الثاني إلى مباحث هي:

المبحث الأول: الوجود والعدم. وفيه تَعْرِض أولًا موقف الإنسان البدائي من فكرة الوجود والعدم في حضارات: مصر القديمة، وفيما بين الرافدين، وعقيدة التناسخ عند الهنود، وفلسفة الكون والفساد التي قالت بخلود الروح وفناء الجسد، إلى أن جاءت الأديان السماوية لتقنع الناس بحياة أخرى خالدة بعد الموت الدنيوي. بعد أن نبأت بما يقول به الدهريون - قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ [الجاثية: ٢٤].

لقد اتبعت الدكتورة عائشة - بحسن نية - في هذه المسألة كلام العلمانيين في تاريخ الأديان، ولكن ألم ينبئ آدم عليه السلام بنيه بحياة أخروية خالدة - بعد انقضاء الحياة الدنيا، وتلك هي مهمة الأنبياء والرسل من لدن آدم حتى محمد ﷺ؟، وما كان عليه المؤمنون برسالات الأنبياء والرسل عليهم السلام، فهم يؤمنون بخلود النفس

المطمئنة في الآخرة، أما الذين كانوا ينكرونه، فهم المعاندون من غير المؤمنين، وهم الذين عنتهم آية سورة الجاثية.

المبحث الثاني: جدل في البعث: زعمت الدكتورة عائشة في هذا المبحث أن البشرية جاهدت دهورًا للفرار من فكرة العدم، تبريرًا لصراعها في الدنيا، وحماية لإرادة البقاء في الحياة، حتى بعث فيها اليقين رسالات الدين فهل غفلت الدكتورة عائشة عن أن الدين جاء مع بعث آدم عليه السلام، ثم نوح وبقية الأنبياء والرسل. حتى جاء الإسلام ليكون خاتم الرسالات. ويكون محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل؟ وشاهدًا على أمته الشاهدة على الأمم السابقة؟

الإسلام يُطمئن الإنسان إلى إمكان البعث، ويضع أمامه القدرة الإلهية في خلق الإنسان، ثم بعثه مرة أخرى.

وهنا توجه الدكتورة عائشة القول إلى الملحدين الذين لا يؤمنون بالبعث هل استمعوا إلى قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

المبحث الثالث: العرض والجوهر: أرادت الدكتورة عائشة في هذا المبحث أن تنبه إلى أن القرآن يقنع الإنسان بحقيقة الموت الحتمية الصارمة ليفيق من غفلته في نشوة الحياة الدافقة، ليكون التذكير بالموت كبحًا لغروره. قال تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء: ٧٨].

ولكن مع هذا فإن القرآن لا يشق على الإنسان بالتزهيد في الدنيا، بل يريد للإنسان أن يأخذ من حتمية الموت عبرة تحميه من الأثرة والشره والتهالك على متاع الدنيا. ويرسخ في الإنسان الإيمان بحياة أخرى خالدة، يكون مصيره فيها مرهونًا بما

قدم في دنياه من خير أو شر، وعلى الإنسان في الدنيا مكابدة السعي لتحقيق الوجود الأمثل. قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك: ٢] وبهذا الابتلاء لا تعود رحلة الإنسان في الدنيا عليه عبثًا باطلًا. ويحقق له عمله الخلود في الآخرة، في الجنة أو في النار، والإسلام يمنح الإنسان هذا العمل المرجو، بتوحيد كل طاقاته في معركة الصراع بين الخير والشر.

المبحث الرابع: عالم الروح: رأت الدكتورة عائشة عبد الرحمن أن الإنسان من قديم شغل بالبحث عن عنصريه: الروح والجسد،وشُغِل الفلاسفة بصفة خاصة بالروح وبالنفس، وأعياهم الوصول إلى الحقيقية. وإن عرفوا من ظواهر الروح أنها سر الحياة، إن فارقت الجسد فسد ومات» .

ثم ذكرت بيان الروح والنفس في القرآن. فقالت: لقد ورد ذكر الروح، بمعنى أمين الوحي جبريل، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣] ومن معانيها في القرآن: السر الإلهي الذي تصير به المادة الآدمية كائنًا حيًا. قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٩]. وهذه الروح التي هي من أمر الله لا يعلم كنهها إلا الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

أما النفس في القرآن فتعنى الذات بعنصريها المادي والمعنوي. قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

والنفس في القرآن توصف بالطمأنينة والرضا، والتضرع، والإيثار، والأثرة والحسد، والوسوسة، وتوصف بالإيمان والكفر والهدى والضلال، والخيانة والفجور – كما توصف بالتقوى. وهى التي تتحمل التكاليف، وتتلقى عليها الجزاء ثوابًا أو عقابًا. ولا يستخدم القرآن الجسد في الحديث عن الآخرة، إنما يستخدم

النفس، وهذا يبين أن الثواب والعقاب يلحق بالإنسان الذي هو النفس (الجسد والروح). قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] ولم يصل علم العلماء إلى حقيقة الروح ويعجز العلم الحديث عن معرفة كنه الروح، ويتجه ببحوثه إلى دراسة الظواهر، تاركًا أسرار ما وراء الغيب الذي لا يعلمه إلا الله عز شأنه، لرب الغيب والشهادة.

المبحث الأول إنسان العصر بين العلم والدين: ولقد أرادت الدكتورة عائشة أن تبين موقف إنسان العصر من العلم والدين، بعد أن أدركت أن العالم الحقيقي أقرب الناس إلى التدين لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ [فاطر: ٢٨].

وتعرض الدكتورة عائشة أولًا لإنسان العصر في الغرب، ذلك الإنسان الذي فجر الذرة واقتحم الفضاء، ثم أخذ يفكر في مصيره النهائي المحتوم. ولا سبيل له إلى الطمأنينة إلا أن يلوذ بالدين «لكن واقعه يجعل الطمأنينة تتعرض لهزات عنيفة من أثر الصدام بين العلم والدين في بيئة الغرب، منذ عصر النهضة في أوربا فقد تفجر الصراع بين المذهب المادي والكهنوتية، وأخذ الصراع يزداد حتى بلغ منتهاه في القرن ١٩ قرن «ماركس» و «داروين» الذي فسر كل شيء في الكون بالمادة والقوة، واتسعت الهوة بين العلم والدين، فافترقا ولما يلتقيا، فرقهما رجال من فريقي: العلماء، والكهنوت فرأى الفريق الأول أن الدين معطل للتقدم، ورأى الفريق الثاني أنهم نسوا الله الخالق، فصاروا بعلمهم شرًا على البشرية.

الإسلام يؤكد أنه «لا يمكن أن توجد خصومة بين الدين في دعوته إلى الحق والخير، وبين العلم في سعيه الدائم إلى التقدم» وبينما كانت الكنيسة في الغرب تضطهد العلماء مثل «جاليليو» و «برونو» كان العلماء المسلمون ينطلقون في طمأنينة واثقة، مؤيدين من عقيدتهم، وإكبارها للعقل، فأصّلوا المنهج التجريبي الاستقرائي، وأعطوا الإنسانية أوليات كتب العلوم والفنون، وقدموا مخترعاتهم،

ورسخوا قاعدة انطلاق العلم الحديث وأكدوا في الوقت نفسه أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش في فراغ من العقيدة.

المبحث الثاني: الإنسان والوصول إلى القمر: تُوِّج العلم في الغرب بغزو الفضاء والوصول إلى القمر.

والإنسان من قديم الزمان نظر إلى الشمس والقمر، وعرف أنهما من آيات القدرة الإلهية فاهتدى بهما إلى قياس الزمن، وضبط المواقيت والفصول الموسمية، كما عرفهما علامات ترشده وتهديه في سيره في البر والبحر. وكانت عبادة القمر – قبل الإسلام – دينًا ومعتقدًا لبعض الوثنيين، وقضى الإسلام عليها، ولكنه لم يغض من شأن القمر، بل قدَّر شأنه في بعث النور والضياء، وحساب الزمن، ومواقيت العبادات. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس:٥]، وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴾ [الزمر: ٥]، قال تعالى: ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة: ١٨٩].

وتختم الدكتورة عائشة هذا المبحث مؤكدة سعى الإسلام إلى التمكين من وسائل العلم وغاياته. قالت: نستطيع أن نفهم موقف الإسلام من رحلة الوصول إلى سطح القمر. وأن نؤمن بأن الدين يبارك هذا السعي الطامح، الذي يرسخ الإيمان بما يكشف عنه من آيات القدرة الإلهية في النظام الكوني المحكوم بسنن ثابتة وقوانين مطردة، وما يهتدي الإنسان إليه من نعم لم تكن ظاهرة، مما سخر لنا في السماوات والأرض» .

القسم الثاني: من الكتاب:

القسم الثاني من كتاب القرآن وقضايا الإنسان - كان كتابًا مستقلًا ردت به الدكتورة عائشة على مقالات في التفسير العصري، كان يصدرها مصطفى محمود في مجلة «صباح الخير» اليسارية - قبل أن تجمع في كتاب بعنوان: القرآن محاولة لفهم عصري. ولقد أزعجها وصف مصطفى محمود للقرآن بقوله: «إنما هو معمار خاص من الألفاظ صفت بطريقة تكشف عن الموسيقى الباطنة فيه». «والموسيقى الباطنة: سر من أسرار المعمار القرآني، لا يشاركه فيه أي تركيب أدبي» .

نزل هذا الكلام في آذان الدكتورة عائشة كالصاعقة، وأصابها ما أصابها من الخوف، فهل تترك العابثين يعبثون بالنص القرآني الجليل الذي هو أصل عقيدة الإسلام وشريعته؟ أم تتصدى لهم وتحرق فريتهم؟

قدمت الدكتورة عائشة لهذا القسم من كتابها بمقدمة غاية في الإيجاز عن أسباب تأخر المسلمين، وعللته بفتن صنعها الاستعمار ليبتلى بها الأمة الإسلامية، هي توطين العصابات الصهيونية بفلسطين، ومن هنا تأخذ القضية موضعها من قضايا الإنسان في عصرنا، وإن كانت الأمة الإسلامية هي التي تحملت أعباءها الشرسة، ولقد سبق لها أن عرضت هذه القضية بأبعادها التاريخية والفكرية في كتاب: «أعداء البشر» إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، سنة ١٩٦٨.

والقسم الثاني من الكتاب من مباحث ـ مثل القسم الأول، هي:

المبحث الأول: القرآن ومنطق الحتمية التاريخية: رأت الدكتورة عائشة في هذا المبحث أن تفسير تاريخ الأمة الإسلامية المادي والفكري والسياسي ظل يدور دائمًا في ظل القرآن، فهو دليل الأمة الإسلامية، ومنارها في مسارها وحصنها الذي يحميها من كل محاولات البغي. ولقد مرت أمتنا بعصور ازدهار وانحطاط، ولها منهما عظة تحمى وجودها بمعرفة عوامل ازدهارها، وأسباب انحطاطها، وذرائع

تخلفها، لكن ذلك لن يكون إلا من خلال فهم القرآن، لأنه يفسر تاريخنا، ويعطينا منطق حتميته».

وتوازن الدكتورة عائشة بين التفسير المادي للتاريخ، والتفسير الإسلامي له، ومع أنها وافقت على أن المذهب المادي في تفسير التاريخ له ميزة تصيير التاريخ علمًا بمفهوم العلم، إلا أنها رأت في التفسير المادي للتاريخ قصورًا، لأنه أغفل العامل الديني في تفسير حتمية التاريخ. ومع أنها لم تنكر جدوى الفهم المادي في تفسير التاريخ وتطور دراسته، كما لم تنكر أن الضمير العلمي الحر، يقر جدوى الفهم التاريخي المادي، إلا أنها قررت أن نظرية وحدة المعرفة ألغت الفواصل بين دوائر العلوم التي تتداخل. «وأكدت أنه لا يمكن أن يستقل المذهب المادي بتفسير التاريخ» وحده لأن القيم الدينية أضافت قيمًا إنسانية ارتقى بها الإنسان، لا يعرفها المذهب المادي في تفسير التاريخ.

الذي يؤكد صحة ما ذهبت إليه الدكتورة عائشة أن الإسلام في القرن الأول الهجري جمع شعوبًا ذات أصول وأعراق مختلفة، وثقافات متباينة، جمعها الإسلام في أمة واحدة، وانصهر ميراث حضارتها في بوتقة الإسلام الواحدة لأنها دخلت الإسلام، والتحمت حول القرآن.

وفى القرون التالية حققت الحضارة الإسلامية قيادة العالم، وكانت حضارة إسلامية الدين، عربية اللغة، إسلامية الفكر والمنهج - دليلها القرآن.

أما أوربا فمنذ عصر النهضة انطلقت تغذ السير، وهى مزودة برصيد الحضارة الإسلامية، وإرثها العلمي العظيم دون عقيدته، ومن أسف غرق المسلمون في ليل طويل، ناموا ولكن لم يموتوا، لأن القرآن ظل يسيطر على ضمير أبناء الأمة ويحفظهم، «فمن القرآن كانت الأمة تستمد شحنة الحياة ويترسخ في ضمير أبنائها فريضة الجهاد للتحرر من أغلال العبودية لغير خالقهم» .

وفى العصر الحديث تكشفت الأقنعة، جاءت الجنود المدربة من فلول المستشرقين والمبشرين الذين وجهتهم الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية، ومراكز الاستعمار، والتجار الذين جاسوا خلال الديار، وقرروا جميعًا أنه لا سبيل إلى غزو العالم الإسلامي، والقرآن يوحد منهج التربية والتعليم في كل أرجاء العالم الإسلامي. وكانت الطامة الكبرى انتشار إرساليات التبشير والبعثات العلمانية في بلاد المسلمين فأخذت تبتر أبناء المسلمين من جذورهم، وترسخ فيهم أن قديمهم (الإسلام) سبب تخلفهم، وعلة ضعفهم» .

ولكن مع هذا فقد بقى ضمير الأمة سليمًا مرهف الوعي بما رسخ فيه القرآن من إيمان، وبما حملته عقيدته من تكاليف شرعية. ولكن الاستعمار «نشط وروَّج لبدعة ما أسموه التفسير العصري، وبالفتنة التي تأخذ حينًا اسم (البهائية) وحينًا اسم القاديانية، وأحيانًا اسم العصرية، وسمة العلمانية» . ولكن الحتمية التاريخية الإسلامية تفرض أن يظل القرآن نور البصيرة للأمة.

هكذا مهدت الدكتورة عائشة بهذا المبحث مدخلاً للكتاب الذي أسمته: القرآن والتفسير العصري، على أساس أن فرية التفسير العصري للقرن التي تولى كبرها مصطفى محمود، ما هي إلى ضميمة لأخوات خبيثات لها من أعمال المستشرقين والمبشرين والبهائيين والقاديانيين، وغير ذلك من البدع الخبيثة التي تبثها مراكز الاستعمار في دار الإسلام.

المبحث الثاني: القرآن والتفسير العصري - هذا بلاغ للناس: فجأة وبدون توقع ظهر ما أطلق عليه التفسير العصري. لكاتب صحافي يكتب بمجلة صباح الخير. وما يكتبه ليس إلا متابعة لدعوى خبيثة سبقت دعواه عقب الثورة العرابية من دعاة أجانب أرادوا النيل من لغة القرآن بإحلال اللغة العامية وكتابتها بحرف لاتيني لعزل الأمة الإسلامية عن كتابها: القرآن الكريم، وزعموا أن اللغة العربية لم

تعد تلائم عصر الاختراع، وسار في ركابها بعض المصريين مثل: سلامة موسى، ولما لم تجد هذه الدعوى تقبلًا من الناس، عمد داعية العصرية (مصطفى محمود) فتصور أنه يفسر القرآن بلغة عصر العلم. ولقد غبى على هؤلاء جميعًا أن يعرفوا لغة القرآن وقدرتها على مسايرة الزمن وتقدم العلم فيه. فقد استطاعت اللغة العربية أن تطوع دلالات ألفاظها مع كل جديد طارئ، وتتوسع في المجاز لكي تؤدى المعاني الجديدة التي لم يكن للعرب في باديتهم عهد بها، وكانت تجربتها التي أثرتها بالمصطلحات والألفاظ الإسلامية، دون أن تجد مشقة أو عسر. «واستطاعت أن تستوعب التراث الفلسفي والعلمي للأمم القديمة، وأن تنقل إلى المكتبة العربية ذخائر الفكر والعلم لأعرق الحضارات التي عرفها التاريخ» .

إن السؤال الخطير الذي تواجهنا به القضية هو: هل نفهم القرآن على ما بينه نبي الإسلام، أو كما يفهمه صحافي يطلق على نفسه مفسرًا عصريًا، ندب نفسه لمنصب الفتيا في العقيدة الإسلامية، وجعل من مجلة (صباح الخير) دارًا عصرية لإفتاء المسلمين في الحلال والحرام» . ويزعم أنه فهم من القرآن «أن جبريل يمكن أن ينزل إلى الأرض في أية صورة، ويحمل الوحي إلى أي نبي في أي عصر بأية لغة» . وهذا كلام لم نسمعه من عالم مسلم، أو من فقيه أصولي أو مفسر لكتاب الله. ولكن نطق به حسين على المعروف بالبهاء المازندراني صاحب فرقة البهائية الضالة، ومصطفى محمود متأثر به. وهو من بدع التأويل بالرأي والهوى. قال تعالى في أمثال هؤلاء ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف: ٤، ٥] .

المبحث الثالث: مدخل تاريخي - القرآن ختام رسالات الدين: القرآن - محفوظ في الصدور، وفى السطور نصًا ورسمًا وقراءة، أما تفسيره فيخضع لاختلاف الفهم، وطبيعة الحياة مع اتساع العالم الإسلامي، وربما شَابَ التفسير ما دسَّه اليهود

(من مسلمة أهل الكتاب) في التفسير، وهو ما يسمى بالإسرائيليات. ويضاف إلى ذلك ما التبس على بعض خلائق ألفوا في التفسير والتبس عليهم الصحيح بالعليل، غير أن العلماء لم يتركوا ذلك نهبًا للأهواء، بل جعلوا شروطًا ملزمة للمفسر هي: «الدراية بعلوم العربية وفقهها لغة وبيانًا، والدراية بعلوم الحديث، وعلم أصول الدين، وأحكام الفقه من الكتاب والسنة، مع معرفة بعلم الكلام والفرق، وعلم تاريخ الإسلام» .

لم يخل عصر من عصور الإسلام من علماء يحذرون من أهل الأهواء والنحل، والبدع الضالة، ولم يخل عصرنا الحديث من علماء عزموا على تحرير الإرث الإسلامي من سموم طائفة من متعصبي المستشرقين الذين أضلهم الحقد فخانوا المنهج العلمي الذي ادعوا فينا أنهم حملته، ثم تسلطوا على فئة من أبناء أمتنا بدعوى العلمية، فنقلوا سمومهم إلى حقولنا الفكرية، ويضاف إلى ما تقدم اصطدامنا بالتفوق المادي للغرب، في هذا المناخ الخادع ظهر ما سُمى بالتفسير العصري للقرآن ليريح الجماهير من مهانة الإحساس بالتخلف. وإذا (بمفسرين عصريين) لا دراية لهم بعلوم العربية، ولا بعلوم القرآن يقدمون لنا من القرآن كل علوم الدنيا، ويضيفون إليها علم الغيب والآخرة. «فهل نترك تفسير كتاب الإسلام، بغير ضوابط مقررة ملزمة» لهؤلاء العابثين؟!.

المبحث الرابع: القرآن بين الفهم والتفسير: وتمهد لهذا المبحث بقول الإمام مالك بن أنس «لا أوتى برجل غير عالم بلغة العرب، يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالًا» وبقول مالك تؤكد أن الحكم على المفسر العصري المقصود، هو حكم قديم صدر عن إمام عظيم هو الإمام مالك، على من ليس له دراية بأسرار لغة القرآن وفقه سياقه ودلالاته» .

ثم تسرد بعض أخطائه في التفسير مثل:

١- استشهاده ببعض كلمات مبتورة من سياقها، ليأخذ منها دليلاً فاسدًا وشاهدًا لا يقبله السياق.

٢- حمل آيتين أو أكثر على معنى واحد، ويستشهد بها لأمر بعينه، وتكون الآية منها في سياق غير سياق الآية أو الآيات الأخرى.

٣- ينتحل لنفسه صفة المفتى، فيفتى في الحلال والحرام بغير علم ولا هدى.

٤- يصف الله سبحانه وتعالى بما لم يصف به نفسه فيقول - والعياذ بالله - المعماري العظيم، والمهندس الأعظم للكون، وسائق القطار الذي تفوق مهارته مهارة جميع السائقين، مما لا يجوز في علم أصول الدين» .

٥- إيراده لعبارات لا تليق بالقرآن مثل: المعمار القرآني، وسيمفونية سورة الفاتحة.

٦- يفسر كتاب الله بشحنة مما دسَّه اليهود في علم التفسير.

٧- يعدل عن ظاهر النصوص القرآنية إلى مجازات عصرية، لا عهد لنا بها في لسان العرب ولغة القرآن» .

المبحث الخامس: لكيلا تضل المقاييس: قالت في بداية المبحث إن هناك من سَوَّغوا لأنفسهم تفسير القرن بغير علم مثل د. عثمان أمين أستاذ الفلسفة الذي قال: «الاجتهاد في التراث واجب على كل مفكر» وإن الذي أجمع عليه الأئمة: أن الاجتهاد محظور على غير العلماء، ويحظر عليهم التفسير بمجرد الرأي دون استناد إلى شاهد من صريح النص أو دليل القياس» .

ولا يتصدى للتفسير من أعوزته أدواته وفى مقدمتها العلم بعلوم العربية، وحصول العلوم التي يجوز معها التفسير، وأن لا يكون تابعًا لمذهب» .

المبحث السادس: دفاعًا عن منطق عصرنا وكرامة عقولنا: إن هذا المفسر العصري غير متخصص بعلم التفسير، وإن كرامة إنسان العصر تأبى إهدار التخصص في عصرنا الذي يؤمن بالتخصص، وإذا استباح كل عصري أن يفسر القرآن على هواه ساغ أن تتعطل وظيفة المفتى والقاضي، ويُترك لإحدى المجلات (صباح الخير) أن تفتح دارًا للإفتاء» .

إن المفسر العصري هذا لم يحترم العلم، ولا حُرْمة فينا لمن لا يحترم العلم، بل تسقط كل حرمة له بمجرد خوضه فيما لا يعلم «إن هذا المفسر العصري» يزين للناس أن يقبلوا تأويلات يزيفها بقناع العلم، وينتحل الدراية بكل علوم الدين والدنيا والخوض في الغيب، وتبلغ به الاستهانة بعقلنا فيصور أن هذا يجوز في عصر العلم» . يقول تعالى: ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [النجم: ٢٨ – ٣٠].

المبحث السابع: بيت العنكبوت: من المزالق الخطيرة أنهم يزعمون أن القرآن إذا لم يقدم أسرار التقنية فلن يكون صالحًا لزماننا يقول مصطفى محمود: «هنا عقل الفنان المبدع الذي يجمل مخلوقاته» فهل يليق أن نصف رب العزة بهذا الوصف؟

وقال أيضا: هذه أمور تعجز أمامها نظرية داروين تمامًا ولا يفسرها إلا عقل كلى شامل يهندس الوجود ويصممه وينشئه إنشاء «أيمكن أن يقبل هذا العبث؟.

ومثله عدم فهم اللغة. قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ﴾ [العنكبوت: ٤١] كان كل عربي ينطق بها على التأنيث، فلا تتصور أن في ذلك إشارة علمية إلى ما اكتشفه العصر من بيولوجيا الحيوان» كما يدعى المفسر العصري.

لا يحل لنا أن نفهم القرآن إلا كما بيَّنه الرسول ﷺ بلغته العربية، ويا علماء

الرياضيات والطبيعيات هل تعلمون أن قلب المؤمن هو كرسي الله، وعقل الإنسان عرش خالقه» كما يزعم المفسر العصري؟

المبحث الثامن: وفى الآيات إدراج وتأويل باطني:

١- في هذا المبحث يدرج المفسر العصري على الآي ألفاظًا من عنده تفسيرًا لألفاظها كأن يقول: إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ (الأعراف: ٢٧) وكأن يقول:... ﴿ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١]. وكأن يقول: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف:٣٦] ومن يعش (ومن ينصرف) عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانًا فهو له قرين (صاحب وملازم)، وكأن يقول: ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ ﴾ [الكهف: ٩٦] (كتل الحديد الكبيرة)، والذي أتى به مصطفى محمود: «خلط بين كلام الله وكلام البشر لم يجرؤ عليه أحد ولا عهد لنا بمثله في أي كتاب» .

٢- يأتي بتأويلات باطنية بعيدة عن توجيه صريح السياق القرآني، ويوغل في التأويل إلى أبعد مما ذهبت إليه البهائية وأضل الفرق الباطنية يقول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧] «بأنه الستر الإلهي ستر به سر النبوة في ثوب بشرى عادى، حتى لا يبتذل السر بالإظهار والاشتهار» (١).

٣- يقول مصطفى محمود: «الدين إحساس، قبل أن يكون نظرية تؤخذ بالبرهان، وهو حالة قلبية أولا قبل أن يكون فلسفة عقلية. فهل يصح أن يكون الدين كما يقول؟! وهل يليق بمسلم أن ينظر إلى دينه على أنه نظرية أو فلسفة عقلية؟!.

---

(١) مصطفى محمود: القرآن ص ١٣٤.

٤- مع أن القرآن حظر الخوض في الغيبيات، لأن الله عز شأنه هو الذي يعلمها، والعلم الحديث يدرك أن وراء الظواهر الكونية أسرارًا خفية، فيتركها ويقتصر على دراسة الظواهر، ولكن «المفسر العصري يوهمنا أنه يكاد يضع يده على الحقيقة من غيب الساعة والآخرة» .

٥- قصة الخلق عند مصطفى محمود تبدأ بصفحات عن نظرية داروين في النشوء والارتقاء[١] ويختمها بذكر الخطأ الذي وقع فيه داروين لمجرد أنه لا يرى يد الصانع الخالق المهندس، وهى تهندس وتخلق» [٢].

٦- ويؤول الشجرة التي حرم على آدم وزوجه أن يأكلا منها في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٩] بأنها رمز للجنس والموت اللذان تلازما في قصة البيولوجيا، حيث أخذت الكائنات الحية بطريقة التلاقح الجنسي لتتكاثر فكتبت على نفسها الموت، ولم تكن الكائنات قبل ذلك تموت، بل تتجدد وتعود إلى الشباب بالانقسام الذاتي» [٣].

والقرآن الكريم لم يذكر إلا لفظ النهى عن الأكل من شجرة ما، ولم يصرح بنوعها ولا بالطعام المأخوذ منها. ولا يزيد مقصود التعبير القرآني عن تشريع للتحليل من الأكل من حيث شاء الله، والنهى عن شيء، فالأمر مجرد تشريع للأمر والنهى، وليس كما يزعم المفسر العصري.

٧- تأويل الجن والشياطين والملائكة. قالت الدكتورة عائشة: إن الوارد في الجن لم يزد عن أن «لفظ الإنس يأتي دائمًا مع الجن على وجه التقابل» .

ولكن المفسر العصري يغالى في تأويل الغيب. قال: ثم هناك ملائكة العرش.

---

(١) القرآن محاولة لفهم عصري، ص ٤٧ وما بعدها.

(٢) مصطفى محمود: القرآن،ص ٥٣، ٥٤.

(٣) مصطفى محمود: القرآن ص ٦٦.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٧] أهي ثمانية من الملائكة، أما ثمانية صفوف، كل صف فيه ما لا نهاية من الملائكة، أم هي ثمانية قوانين فيزيقية أو ميتافيزيقية.... ثم ما هو العرش، أهو رمز؟ وما هو الكرسي، الذي وصفه الله في آية الكرسي بأنه ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فإذا كان هذا هو الكرسي فما بال العرش بأسره، وكيف تحمله مخلوقات.. لعلها كائنات كهرومغناطيسية هائلة، أم أن العرش مجرد كلمة مجازية؟[١] فكأنه يشكك الناس فيما جاء في القرآن وأُمر المسلمون أن يؤمنوا به، ثم إنه لم يرد على الشكوك بما يفيد وجوب الإيمان اليقيني بما جاء في القرآن عن الغيب دون الخوض في كيفيته، ذلك أن الكيف لا يعلمه إلا الله، والإيمان به واجب على كل مسلم. تقول الدكتورة عائشة وعلم الغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه، فلا مجال للاجتهاد فيه، ولكن المفسر العصري وضع نفسه في هذه القلة من الصفوة التي كُشف لها ما كشف من غيب مطلسم محجب» .

٨- ردت الدكتورة عائشة عليه قوله في حرية الإنسان، وقوله: إن الله جعل المن والفداء وصية، والصحيح أنه واجب، لأنه ورد في الآية أمرا صريحا، وردت عليه قوله: إن القرآن جعل فك الرقبة كفارة للذنوب صغيرها وكبيرها، وذلك ما لم يقله القرآن، لأن الكبائر لا يكفر عنها فك رقبة» .

٩- قالت الدكتورة عائشة: «إن القرآن يحظر الإكراه في الدين، ويؤكد الإسلام على حرية التدين. ولكن المفسر العصري يسرف في تأويلاته الباطنية» ، ومع ذلك يضلل القارئ فيقول: «لنا موقف في التفسير لابد من التزامه، وهو الارتباط بحرفية العبارة القرآنية ومدلول الكلمات الظاهر، لا ننتقل إلى تأويل باطني» (مصطفى محمود: القرآن، تقول الدكتورة عائشة: «والمفسر العصري في عرضه لحرية الإرادة في

(١) مصطفى محمود: القرآن ص ١٦٢، مرجع سابق ، وراجع د.عائشة: القرآن وقضايا الإنسان، دار المعارف القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ٣٧٩.

فصل: مخير أم مسير، يتناوله باضطراب، وخفة في الأسلوب» .

١٠- قالت الدكتورة عائشة: «وعندما تحدث عن الوجود والعدم: نقل عن بحثين لي كلاما بكل شواهده إحداهما بعنوان البعث والآخر بعنوان إعجاز القرآن، مع عثرات الأخذ المختلس، والتدليس المموه، والبتر المشوه» . ثم تعلق الدكتورة عائشة فتقول: ماذا عن أسرار القرآن، أيكون فصحاء العرب لم يدركوا منه ما يدركه صحفي محدث. وهل فهم هذا الصحفي ما لم يفهمه النبي والعرب الفصحاء من لغة القرآن وبيانه؟! .

تقول الدكتورة عائشة: «ولكن المفسر العصري يتطوع ليفتح بصيرتك لترى الملائكة شهودا، وترى الغيب حضورا» وتضع يدك على نص من كلام المفسر العصري يقول: «وفى هذه البشرية من سمع الجن، ورأى الملائكة، وخاطب الشياطين، وعَلِم الغيب شهودًا» [(١)]، وليته أخفى ما كشف له من أسرار غيبه ! وهو في غيبوبته !.

١١- تقول الدكتورة عائشة: «إن الإيمان عقيدة وتقوى، وليس استهواء خلابًا يخدر عقول العامة الأغمار بألفاظ فقدت دلالتها ومعناها هي أشبه بشطحات هائمة في تيه سراب تسقط الأمة في غيبوبة عن الوعي، وتعطل إدراك سنن الكون والحياة» وهو ما فعله المفسر العصري، وفيه وفى مثله يقول تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [لقمان: ٦]. «إن المفسر العصري يرى تعبئتنا لحرب العدو الصهيوني تشاغلًا عقيمًا، وعبثًا وضلالًا» فأراد أن يشغل الأمة الإسلامية عن تحمل مسئولياتها وتبعة وجودها في مواجهة أعدائها من الصليبيين والصهيونيين.

---

(١) مصطفى محمود: القرآن، ص ١٥٥.

١٢- «إنما يعوزنا حقًا عقلية يضبطها منطق علمي» والقرآن دين وهدى ونور وعقيدة وشريعة، فهل تَأَتَّى للشباب أن يفهموا القرآن على غير البيان الذي نزل على نبيهم ﷺ. إنهم ليسوا من الغفلة والسذاجة بحيث يجوز عليهم تأويل غير صحيح للقرآن، ولا حرج من الإسلام على الشباب أن يقرءوا نظريات داروين وماركس وغيرهما، ولكن يحظر عليهم أن يقرءوا النظريات المادية مشوهة، مدسوسة على تفسير القرآن باسم حرية العلم والعصرية» بل على الشباب أن يلتمسوا العلم من أهل الذكر والعلم بالكتاب والسنة، وفقه الأئمة لا ممن يتجاسر على القرآن، وهو لا يفقه بيانه.

إن الخطر كل الخطر فيمن «يتصدى للعلم ليضل الناس بغير علم» قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤]. وما خشى نبينا ﷺ على الدين إلا من آفته. قال ﷺ: «**آفة الدين ثلاث: فقيه فاجر، وإمام جائر، ومجتهد جاهل**».

لكن المفسر العصري بتشويه في عقله وضميره، تسلطت عليه مخدرات الكهنوت العصري فأسقطت في وعيه رؤى الجن والملائكة في عصر «ساليوت» وأعطته كلمة السر التي تفتح له خزائن علوم الدين والدنيا، وغيب الآخرة» . وفى غيبوبة اللاوعي، يُحجب عنه عطاء الدين.

ولنا كلمة: إن الدكتورة عائشة لم توف قضايا الإنسان في القرآن في كتابها هذا، فلم تبين حقيقة الميثاق بين الله تعالى والإنسان، الذي صار بمقتضاه خليفة في الأرض، كذلك لم تتحدث عن قضايا حقوق الزوجين وواجباتها كل منهما قبل الآخر. ولم تلمس قضية المقاصد الشرعية في حفظ الدين والنفس والنسل والمال والعقل. كما لم تتكلم عن قضايا الإنسان المالية والاقتصادية في القرآن. وقضايا النظم السياسية، والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، والذود عن الكيان الفلسطيني المحتل من

قبل الصهيونية. وقضية التربية الوالدية والأسرية بصفة عامة، وقضية التربية والوطنية والتنموية. كما لم تلمس قضية التعليم التي تقوم على تعاليم القرآن والسنن الكونية، وتؤدى إلى إحراز تقدم مدني وعمراني، تدعمه قوة روحية ومادية. وكان عليها أن تعنون كتابها بعنوان يطابق موضوعه مثل «من قضايا الإنسان في القرآن».

ومع ذلك فقد أضاءت الدكتورة عائشة طريقا إلى الفهم القرآني الصحيح، وسدت طريقًا كان يهدف تشويه النص - ولعل من يأتي بعدها يسير على نفس الطريق ليتم ما لم تتمه - غفر الله لنا ولها.

*****

obeikan.com